المعجم اللّهجيّ ودلالته في ديوان سيدي لخضر بن خلوف. - "دراسة تحليليّة لقصيدة "مزغران"-

أ.د. عبد الحليم بن عيسى،
جامعة وهران.

1- تقديم:

إنّ المطّلع على التّراث اللّهجيّ بصفة عامّة سيلاحظ الدّقة الّتي انبنى عليها في تصوير ثقافة المجتمع العربيّ وعاداته وتقاليده وتطلّعاته؛ إنّه لسان حاله في أنقى تاريخه وبطولاته وأمجاده، وحتّى تطلّعاته. والتّراث اللّهْجيّ الجزائريّ لا يخرج عن هذا الطّرح إذ نبغ فيه الكثير من الأدباء الّذين كانوا خير لسان لتراثنا الوطنيّ.

ويعدّ سيدي لخضر بن خلوف من النّبغاء الّذين كان لهم الفضل الكبير في تصوير ثقافتنا، والتّعبير عن عاداتنا، ونقل تاريخنا المجيد، وغيرها من الموضوعات الّتي يعبِّر عنها الشّعر الشّعبيّ. ومنه قد نتساءل عن القيمة اللّغويّة لديوان ابن خلوف وموقعه اللّسانيّ من اللّغة العربيّة الفصحى، وفي رحاب كلّ ذلك قد نقول: ما موقع المعجم اللّهجيّ لابن خلوف من المعجم الفصيح؟ ثمّ كيف كان الاستعمال اللّهجيّ عند سيدي لخضر بن خلوف؟ وما طبيعة المفردة اللّهجيّة في ديوانه؟

ودراستنا تناقش هذه القضيّة نكشف فيها عن طبيعة الاستعمال اللّهجيّ عند ابن خلوف؛ كون ديوانه يمثّل مدوّنة خصبة وثريّة بإمكاننا الاستفادة منها في الكشف عن الخصائص الاجتماعيّة والثّقافيّة للمجموعة البشريّة الّتي ينتمي إليها شاعرنا، وفي بيان طبيعة اللّهجة الجزائريّة، والكشف عن امتداداتها سواء في الاستعمال التّراثيّ أو في الاستعمال الآنيّ، وبالتّالي المساهمة – قدر المستطاع – في بناء أطالس لغويّة للّهجات الجزائريّة.

وقد نستأنس ههنا بدعوة الدّكتور عبد الجليل مرتاض الّذي دعا في غير مرّة إلى ضرورة التفات جامعاتنا العربيّة مشرقا ومغربا إلى هذه المادّة لتدرِّسها في تخصّصات الآداب واللّغات والعلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة والثّقافات الشّعبيّة، فأكّد أنّ هذه الالتفاتة لمادّة اللّهجيّة لن تضرّ اللّغة العربيّة.[1]

2- المعجم واللّهجة:

اللّهجة كما يذكر إبراهيم أنيس هي «مجموعة من الصّفات اللّغويّة الّتي تنتمي إلى بيئة خاصّة، ويشترك في هذه الصّفات جميع أفراد هذه البيئة. وبيئة اللّهجة هي جزء من بيئة أوسع وأشمل، تضمّ عدّة لهجات لها خصائصها، ولكنّها تشترك جميعا في مجموعة من الظّواهر اللّغويّة تيسِّر اتّصال أفراد هذه البيئات بعضهم ببعض... والعلاقة بين اللّغة واللّهجة هي العلاقة بين العامّ والخاصّ.»[2] فأهمّ شيء تنبني عليه اللّهجة (اللّغة الخاصّة) تميُّزُها عن اللّغة العامّة (اللّغة الفصحى) بخصوصيّات خاصّة. ولكن هل هذا يعني خروجها عن إطار اللّغة العامّ ؟ ولعلّ هذا الإشكال هو الّذي جعل محمد محمد داود يستدرك في بيان ماهيّة اللّهجة فيقول: «هي نمط من الاستخدام اللّغويّ داخل اللّغة الواحدة، يتميّز عن غيره من الأنماط داخل نفس اللّغة

بجملة من الخصائص اللّغويّة الخاصّة، ويشترك معها في جملة من الخصائص العامّة.»[3] وفي رحاب هذا التّوضيح تتجلّى طبيعة العلاقة بين اللّغة واللّهجة باعتبار أنّ هذه الأخيرة قد تبقى متّصلة في استعمالاتها بما تبيحه الاستخدامات الفصيحة.

3-أهميّة الشّعر الشّعبيّ ووظيفته:

لا يمكن إنكار قيمة "الشّعر الشّعبيّ" وأهميّته؛ فهو سجّل الأمّة ومحفل حوادثها؛ فهو كما يرى **حسين نصّار** «مرآة كلّ شعب؛ إذ يعبِّر فيه الفرد عن وجدانه، ويمثِّل تفكيره، ويعكس اتجاهاته ومستوياته الحضاريّة.»[4] ولهذا لا يقلّ أهميّة عن الأدب الفصيح في قيمته الفنيّة وفي تصويره للواقع؛ وهنا قد يتجاوزه في ذلك. يقول أبو القاسم سعد الله: «حقّا إنّ الشّعر الشّعبيّ قد سجّل كثيرا من الحوادث السياسيّة والفكريّة كما كان سجلا للنّبض الاجتماعيّ والاقتصاديّ في البلاد، وبذلك يمكن القول من النّاحيّة التّاريخيّة للّغة أنّه كان أشمل وأقرب إلى الحقيقة من الشّعر الفنيّ؛ فبينما كان الشّعر الفنيّ شعر بلاط أو شعر نفس مهزومة أو شعر مدائح نبويّة ونحوها كان الشّعر الشّعبيّ يدوّن ما يجري في جميع هذه المستويات تقريبا، ويصف ردود الفعل بآله تسجيل أمينة»[5]. وهذا ما نلاحظه في نظرة شاملة لديوان ابن خلوف الّذي احتوى على قضايا متنوِّعة؛ معظمها ظلَّ مرتبطا بالواقع والمجتمع الّذي عاش فيه سيدي لخضر بن خلوف منها: الموضوعات العقائديّة: كالتّوحيد والموعظة والتّصوّف، والمديح النّبويّ حتّى لُقِّب بـــ"مدّاح الرّسول"[6]، والأمانة والحكمة والجهاد، وغير ذلك من الموضوعات الّتي دأب الشّعر الشّعبيّ على معالجتها كالنّقل التّاريخيّ للأحداث التّاريخيّة.

4-المفردة اللّهجيّة في ديوان سيدي لخضر بن خلوف:

تشكّل المفردة الأساس الّذي ينبني عليه أي فعل إبلاغيّ، غير أن إبلاغيتها لا تتحقّق إلاّ إذا تمكّن موظّفها من احتواء الأبعاد الدّلاليّة المقصودة. وفي أدنى تأمّل للمفردة في ديوان سيدي لخضر بن خلوف لاحظنا بصفة عامّة دقّته في اختيار اللّفظة بما يلائم القضايا الّتي يعبّر عنها، وهي نابعة من عمق القضايا الّتي طرقها من جهة، ومن طبيعة لغة المنطقة الّتي ينتمي إليها من جهة أخرى. ونستطيع أن نصنّفها بحسب تردّدها في الدّيوان بحسب الحقول الدّلاليّة[7] الآتية:

-الألفاظ الدّالة على الذّوات المقيسة (تدلّ على الإنسان وأعضاء جسمه وعلاقاته الفرديّة (الأسريّة) والاجتماعيّة)؛ منها:

-الألفاظ الدّالة على الذّوات المقيسة (المفردات الدّالة على الحيوان والنّبات والجماد)؛ منها:

-الألفاظ الدّالة الذّوات الحسيّة (السّمعيّات والبصريّات والشّمّيّات والذّوقيّات)؛ منها:

-الأفعال الدّالة على الفكر والإحساس والاتّصال والانفعال.

وكلّ الألفاظ الواردة ضمن هذه الحقول الدّلاليّة تنمّ عن الوعي العميق بأصالة هذه المفردات في الاستعمال اللّغويّ والمعجم اللّهجيّ الجزائريّ. أمّا في انتقائها وتوظيفها في قصائده فهي كما يذكر محقّق الدّيوان لؤلؤ وروح من شمس، ومعانيها تفور وتسطع كالتّبر الخالص، تزرع محبّة الإسلام، وتحيي القلب الغافل الميّت، لا تكليف فيه ولو امتدّت منظوماته، فإذا وصف الطّبيعة أجاد على اختلاف أنواعها، وإذا وصف الممات والحياة والحشر

والحساب والجنّة والنّار جدّ وأفاد، وإن حكى في القتال صاح من صميم الفؤاد مشغوفا بسيّد الرّجال ومنتظرا لرحمة الرؤوف المعتال.[8]

5- التّعريف بالقصيدة (قصة مَزَغْرَانْ):

تدور القصيدة[9] حول معركة "مزغران" الشّهيرة[10] الّتي دارت بين الإسبان والمسلمين بقيادة الأمير حسن باشا نجل خير الدّين، وعلى غير العادة فسيدي لخضر بن خلوف كما هو معروف هو شاعر مدح وتوّسل ووقار وزهد، ولكن ما تفوته مثل هذه القضايا الوطنيّة؛ إذ تحمّس في هذه القصيدة للدّفاع عن الوطن والذّود عن كرامته واستقلاله، فخلّد ذلك في قصيدة وصف فيها هذه الواقعة في حماس وطنيّ يشعرنا بتلك الملحمة الضّارية الّتي عاشها وطننا. ولقيمتها وأهميّتها أكثر لاحظنا أنّ الشّاعر من العتبة الأولى (العنوان) يسميها "قصّة" الّتي توحي بعظمة الأحداث الّتي وقعت في هذه المعركة، وينعتها بـــ"غزوة" تشبيها بغزوة بدر الكبرى، يقول:

يَا فَارِسْ مَنْ تَمْ جِيتْ اليُومْ غَزْوَةْ مَزَغْرَانْ مَـــعْلُومَةْ

وقد ذكر فيها الشّاعر أقطاب المعركة، مع الأمير خير الدّين والد الأمير حسن باشا في قوله:

يَا سَايِلْنِي كِيفْ ذَا القِصَّةْ بِينْ النِصْرَانِي وُخِيْرْ الدِينْ

وأمير الإسبان في قوله:

إِحْطَاطُوا بِالأَمِيرْ شِنْطَاظُوشْ بِالشِلْيَةْ وُالقَوْسْ وُالبْطَاشْ

وقد استطاع الشّاعر بشعره الحماسيّ وباعتباره ممّن عايشها أن ينقل لنا وقائع تلك المعركة بكلّ وقائعها وأحداثها وأبطالها وشهدائها وهم بالألوف كما يقول الشّاعر[11]:

حَسْرَاهْ يَـــا الدُّنْيَا كِلِّي مَا كَانَـتْ عَدِّيتْ شْبُوبْ صُغْرِي فِي مَزَغْرَانْ
سِيفِي مَجَرْدَهْ وُأَنَا نَضْرَبْ فِي الأَعْدَا وُالنَّاسْ ضَاجَّةْ من زَجْرِي بِالخُوفْ
يَمْنِي وُعَنْ شْمَالِي الجْمَاجَمْ رَاقْـدَةْ وُالخَلْقْ طَايْحَةْ تِحْسَبْ بِالأُلُوفْ

وذكر الشّاعر الخسائر الّتي كانت في صفوف العدوّ وهي كثيرة يقول:

حِـــزْنَاهـــمْ للصُورْ ذَاكْ اليُومْ تَسْعَـــــةْ آلاَفْ بْقَاتْ مَغْنُومَةْ
مِنْ حِيطْ الدَشْرَةْ لْحَـــوْضْ الدُومْ عَشْـــرَةْ آلافْ مْشَاتْ مَحْطُومَةْ
كْبِرْلْنِـــــفْ الكَلْـــــبْ رَاسُهْ طَارْ وُالرَقْبَةْ مِنْ الحْنَفْ مَقْطُوعَةْ

وعبّر بن خلوف في الوقت نفسه عن البهجة الّتي حلّت بالمسلمين بعد انتصارهم على العدوّ، يقول:

الأَمِيرْ حْســـنْ يُومْ مَزَغْرَانْ اِخْلَفْ التَارْ مِـــنْ العْدُوُ تَحْقِيقْ
رْجَعْ للبَهْجَةْ عَاصِمْةْ البُلْدَانْ بِغْـــنَايمْ شَتَى وُنْصَرْ لْبِيقْ
اِدْعـــوُا لَهْ يَا نَاسْ بِالغُفْرَانْ يجْـــعَلْ لُهْ رَبِّي مَسْلَكْ وُطْرِيقْ

6-المفردة اللّهجيّة في قصّة مزغران:

لكي ندرس ونعرِّف بالمفردة اللّهجيّة في القصيدة وتردِّدها ننطلق من الحقول الدّلاليّة التّالية:

أ- الألفاظ الدّالة على الذّوات المقيسة الّتي تدلّ على الإنسان وأعضاء جسمه وعلاقاته الفرديّة (الأسريّة) والاجتماعيّة:

تردّدت الأسماء في قصيدة "مزغران" إمّا للدّلالة على "جسم الإنسان أو علاقاته الأسريّة والاجتماعيّة"؛ فممّا وظَّفه الشّاعر ضمن "أسماء الإنسان": الأسماء الّتي تنوّعت دلالتها لتدلّ على "الاسميّة" أو "الكنيّة" أو "الصّفة"؛ فمن الأولى الدّالة على الاسميّة: "خير الدّين" في البيت الرّابع، و"شنظاظوش" في

البيت التّاسع، و"أبو بكر ومحمد" في البيت التّاسع والعشرين، و"عيسى" (عليه السّلام) في البيت الخامس والسّبعين، و"رسول الله" (صلى الله عليه وسلم) في البيت الخامس والتّسعين الّذي يقول فيه:

المَشْهُورْ اِسْمُهْ مْنِ الفِيَّاتْ مِغْرَاوِيْ جَــدُّهْ رْسُوْلْ اللهْ

وبذكره لــ"رسول الله" هنا يثبت أصله الّذي يمتدّ إلى آل رسول الله (صلى الله عليه وسلم)[12].

ومن الأسماء الدّالة على المرأة في هذه القصيدة نذكر "افْطِيمَةْ" و"لالا خولة" أمّه في قوله:

الله يَرْحَـــــــمْ قَايلْ الاَبْيَاتْ الاَكْـــــحَلْ وُاِسْمْ بُوهْ عَبْدْ اللهْ

وأَمُـــــــــهْ منْ بِيْتْ مُحْسِنَاتْ اليَــعْقُوبِيَّة لاَلاَةْ خُـــــــــوُلَةْ

وإطلاق لفظة "لالاة" في الغرب الجزائريّ كثير، ويأتي عادة مضافا لاسم المرأة الّتي تتّصف بالوقار والاحترام، ولا يهمّ السّن؛ أي لا تطلق على المتقدِّمات في السّن فقط. وهو لفظ فارسيّ "Lala" تنادى به النّساء[13]، ويستعمل أكثر في المغرب الأقصى.

ومن الثّانية (الكنيّة): "مغراوة" في البيت الخامس والثّلاثين في قوله:

يَا مَغْرَاوَة اِتَحَزْمُوا لَلْكَيْدْ مِنْكُمْ خَلْفَتْ سُلْطَانَا وُاَجْجوَادْ

و"مغراوة" هي القبيلة الّتي ينتسب إليها الشّاعر والّتي دافعت عن نفسها، وهي «بلاد نشأته، وقد خرّح التّاريخ بأنّ مغراوة بطن من زناتة، وأنّ الرّئاسة كانت لها قبل الإسلام وفي صدره إلى عهد الموحدين، واشتهر منهم ملوك تلمسان ووهران وشلف ومعسكر ولغواط»[14]. و"مغراوي" في البيت الخامس والتّسعين، و"اليعقوبيّة" في البيت السّادس والتّسعين، وغير ذلك.

ويجب أن نشير ههنا قيمة الكنيّة في الاستعمال؛ فهي علامة الأصل والتّأصيل والانتساب[15]، يقول محمد كشّاش: «الكنيّة من حيث الدّلالة تقف لتقابل اللّقب؛ ففي حين يقف الأخير للنّبز، يقف الأوّل ليحكي معاني العزّة والرّفعة والمنعة»[16].

ومن الثّالثة الدّالة على الصّفة: "النّصرانيّ" في البيت الرّابع الدّالة على الكونت دا الكودبتي قائد الحملة الإسبانيّة، و"السّلطان" في البيت التّاسع عشر و"اجْوَادْ" في البيت الخامس والثّلاثين، و"فرسان" في البيت السّابع عشر، و"فْرَاسِيْنْ" في البيت الخامس والعشرين والبيت الرّابع والثّلاثين، قال الشّاعر:

جَاتْ خْيُولْ أَفْرِيقِيَا تِنْجَرْ وُفْرَاسِيْنْ الحَرْبْ مَذْكُورَةْ

باستعمال هذا الجمع؛ أمّا في الفصحى فنقول فوارس وفُرسان[17]. بالإضافة إلى كلمات أخرى تدلّ على الصّفة منها "اِظْلَانْ" بمعنى شجاع في البيت الثّامن والعشرين، و"القَسَّاسِيْنْ وُالرُهْبَانْ" في البيت الخامس والسّبعين.

واستعمل أيضا أسماء أخرى متنوّعة تدلّ على جسم الإنسان وعلاقاته الاجتماعيّة منها "الراس" في ... و"الرَّقْبَة" في البيت الواحد والأربعين والتّاسع والخمسين وغير ذلك. وقد ذكر الكثير من هذه الأسماء إمّا لدلالة "تذكريّة" أو لدلالة "تفاؤليّة"؛ فمن الأولى ذكره لاسمه الّذي ردّده في غير مرّة من ديوانه، وورد أيضا في هذه القصيدة ليدعو نفسه ومن يقرأ قصائده؛ وهذه القصيدة بالذّات بالدّعوة له بالمغفرة والرّحمة، يقول:

الله يَرْحَمْ قَايِلْ الاَبْيَاتْ الاَكْحَلْ وُاِسْمْ بُوهْ عَبْدْ الله...
الله يَرْحَمْ أَهْلْ ذاَ المَنْظُومْ وُالقَارِي وُالحَافْظُهْ دَيْمَا
يَرْحَمْ نَاسُهْ مِنْ اِخْيَارْ القُومْ خَيْرْ الدِينْ وُسِيلَةْ الرَحْمَةْ

ومن الثّانية ذكره مثلا "سِيْدْ الحَسَنِيْنْ وافْطِيمَةْ" في البيت الثّاني عشر، و"الثَعْلِبِي" في البيت العشرين في قوله:

اِسْتَوُعَظْ فِيْ طِلْبْتُهْ وُشْكَى وُمْشَى لْحُرْمْ الثَعْلْبِيْ وُدْخَلْ

وكذلك لفظة "المصطفي" في البيت الواحد والعشرين، و"محمد" في البيت الثّلاثين، للدّلالة التّفاؤليّة، و"الفردوس والسْنَادِسْ" في البيت الثّامن والثّلاثين في قوله:

وُالفِرْدُوسْ طْيُورْ فِيْهْ تْحُوْمْ وسْنَادِسْ فِيْ النُوُعْ مَرْقُومَةْ

إشارة إلى ثقافته الإسلاميّة، فهي ألفاظ قرآنيّة مقتبسة من قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا**﴾[18]، وقوله جل جلاله: ﴿**وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا**﴾[19]. بالإضافة إلى كلمات "الواحد القيّوم" في البيت الثّامن عشر، وغير ذلك.

ب-الألفاظ الدّالة على الذّوات المقيسة (المفردات الدّالة على الحيوان والنّبات والجماد):

وظّف الشّاعر في معجمه اللّهجيّ الألفاظ الدّالة على الحيوان والنّبات والجماد؛ فمن الأولى نذكر: "الملجوم" في البيت الثّاني ويريد الفرس، و"البَبُوشْ" في قوله:

يَلْتَقْطُوُا فِيْ الصِيْدْ وُالبَبُّوشْ مَا خَلاَّوْا فِي البْسَاطْ اِخْشَاشْ

بتوظيف لفظة "البَبُّوش"، وهو اسم يطلق على الحلزون، ويسمى في بعض مناطق الغرب الجزائريّ "الغْلاَلْ" و"بوجَغْلُّو"[20]. ولفظة "خْيُوُلْ" في البيت

الخامس والعشرين، و"طْيُورْ" في البيت الثّامن والثّلاثين، وأَفْرَاسْ" جمع "فَرَسْ" في البيت السّابع والأربعين، و"الخِيلْ" في البيت التّاسع والأربعين، وتطلق كما ورد في المعجم الوسيط على جماعة الأفراس (لا واحد له من لفظه)[21]. ولفظة "الكلب" في البيت التّاسع والخمسين، و"الغْرَابْ" في البيت الثّاني والتّسعين.

ومن **الألفاظ الدّالة على النّبات** قول ابن خلوف: "زَقُّومْ والحَنْظَلْ" في قوله:

يضْحَى قُوتْ مْعَاشْهُمْ زَقُّومْ شرْبُوا الْحَنْظَلْ بَعْدْ طِيبْ الْمَا

"الزّقوم" هو شجرة مرّة كريهة الرّائحة ثمرها طعام أهل النار[22]، قال تعالى: ﴿**لَآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ**﴾[23]. و"الحنظل" نبت مفترش، ثمرته في حجم البرتقالة ولونها فيها لبّ شديد المرارة، ولقد اختلف المعجميّون في بناء الكلمة فقيل ثلاثيّ؛ لأنّ النّون زائدة، وقيل رباعيّ لأنّ النّون أصليّة[24]. والشّاعر ضمن هاتين اللّفظتين يريد أن يبيّن مرّارة الحرب الّتي لاقاها الإسبان من المجاهدين.

ومن **الألفاظ الدّالة على الجماد** وقد تنوّعت فيما يدلّ على:

- **أسماء تدلّ على مظاهر الطّبيعة:** منها قوله:

مِنْ حِيطْ اِلْدْشْرَةْ لْحَوْضْ اِلْدُومْ عَشْرَةْ آلاَفْ مْشَاتْ مَحطُومَةْ

بتوظيف كلمات "حِيطْ" و"اِلْدْشْرَةْ" و"لْحَوْضْ اِلْدُومْ"، وغير ذلك.

- **أسماء تدلّ على وسائل الطّرب:** ومنها:

-**أسماء تدلّ على آلات العمل والقتال:** ونذكر منها "الفَاَسْ والمِسْحَاتْ" في البيت السّادس والستّين، و"السلُّومْ" في البيت السّابع والثّمانين، في قول الشّاعر[25]:

تَبْعُونَا شَلَّةْ كُفَارْ هَامْلَةْ بْقَى السَّيْفْ يْشَالِي والحَرْبْ وُالزْدِيمْ

-**أسماء تدلّ على وسائل السّفر:** منها "سْفُونْ" في البيت السّادس، باستعمال هذا الجمع الّذي لم يرد في الفصحى، إذ ورد "سُفُن" و"سفائن" و"سفين"[26].

ج-الألفاظ الدّالة على الذّوات الحسيّة (السّمعيّات والبصريّات والشّمّيّات والذّوقيّات): وقد تنوّعت بين الأسماء الدّالة على الأصوات، والألوان، والشّراب. وقد نوّع سيدي لخضر بن خلوف في ذكر الألوان في قوله:

ولَّى الْمَيِّتْ فِيْ اَلْبْطَاحْ أَفْرَاشْ تَمْشِيْ الْخِيْلْ عْلَى سْبِيْبْ اِلْخِيْـلْ
بِيْضَا وَابْيَضْ لُـوُنْ الشـَاشْ زَرْقَـآ وُازْرَاقْ لُـوُنْ شِبْهْ النِيْلْ
دَهْمَآ وُادْهَمْ لُوُنْ سُوُدْ اِحْبَاشْ خَضْرَآ وُاَخْضَرْ لُوُنْ شِبْهْ قْسِيْلْ
وُصْفَرْ مَآيِلْ تِنْسَى مَنْـظُوُمْ فِيْ قِيْـطَانْ اِحْـرِيْرْ مَـبْرُومَةْ
حَمْرَآ وُاِحْمَرْ فِيْ الخْصِيبْ تْعُوُمْ وُأَبْـقَعْ نَـارِقْ غَازْيَا الْشُوُمَةْ

وهي ألوان أراد أن يعبّر بها الشّاعر -في عبارات بلاغيّة قائمة على التّشبيه- عن المشهد الّذي آلت إليه المعركة بين المجاهدين الجزائريين والإسبان.

ومن الألفاظ الدّالة على الشّمّيّات والذّوقيّات، قد نذكر "القَطْرَانْ" في البيت الثّمانين، و"اللِّيم" في البيت السّابع والثّلاثين.

د- الأفعال الدّالة على الفكر والإحساس والاتّصال والانفعال: وظَّف سيدي لخضر بن خلوف في معجمه اللّهجيّ الكثير من الأفعال لتدلّ على عمل فكريّ أو الإحساس أو الاتصال أو الانفعال والحركة، ومعلوم أنّ الفعل في العربيّة يدلّ على التّغيّر والتّجدّد.

- فمن **الأفعال الدّالة على العمل الفكريّ:** "اِسْتَشْرَحْ" في البيت الحادي والثّلاثين، و"اِتْحَزْمُوُا" في البيت الخامس والثّلاثين، و"اِرْتَعَبُوُا" بمعنى خافوا في البيت الرّابع والأربعين.

- **الأفعال الدّالة على الاتّصال والإحساس؛** منها: "اِجْتَمْعُوُا" في البيت الخامس، و"صَبْحُوُا" في البيت السّادس، و"يَتْنَادُوُا" في البيت العاشر، و"شُوفْ" بمعنى "أنظر" في البيت الثّالث عشر،

- **الأفعال الدّالة على الحركة والانفعال:** "رَيَّضْ" في قوله:

يَا عَجْلاَنَا رَيَّضْ الْمَلْجُومْ رَايتْ اِجْنَابْ اللُّوُ مَوُشُومَةْ

وهي بمعنى "توقّف" في الاستعمال اللّهجيّ الجزائريّ. بالإضافة إلى ألفاظ أخرى مثل: "خَلاَّوْ" في البيت الحادي عشر بمعنى "تركوا"، و"اِرْفَعْ" في البيت الثّاني عشر، و"شْكَى وُمْشَى" في البيت العشرين، و"يْسِيرْ" في البيت الثّاني والعشرين، و"نِغْدُوُا" بمعنى "نذهب" في البيت الأربعين، و"يهُوُمْ" في البيت الثّالث والأربعين وهي بمعنى "يتيه". و"ضْحَى" في البيت السّادس والأربعين وغير ذلك.

خاتـــمة:

لعلّ أهمّ شيء نلاحظه من خلال هذه الدّراسة الوجيزة للمعجم اللّهجيّ لسيدي لخضر بن خلوف أنّه قد عكس ثقافته الثّريّة والمتنوّعة؛ فهي ذات أبعاد دينيّة، وأبعاد وطنيّة لها صلة بالمنطقة الّتي ينتمي إليها، وأبعاد تاريخيّة تعكس الاطّلاع الواسع له بالمعطيّات التّاريخيّة الّتي استأنس بها كثيرا في بناء قصائده. واستطاع سيدي لخضر بن خلوف في قصيدة "مزغران" أنّ يستحضر هذه الأبعاد ويدبّجها بما يستدعي المقام ذلك، فوظّف من الألفاظ ما يلائم الأبعاد الإبلاغيّة الّتي أرادها.

الإحالات:

1- مقاربات أوليّة في علم اللّهجات، الجزائر، دار الغرب للنّشر والتّوزيع، 2002م، ص:07 .

2- من أسرار اللّغة، ص:254 .

3- العربيّة وعلم اللّغـــة الحديث، القاهرة، دار غريب للطّباعة والنّشر والتّوزيع، 2001م، ص:64 .

4- الشّعر الشّعبيّ العربيّ، بيروت، منشورات اقرأ، 1980م، ص: 10 .

5- تاريخ الجزائر الثّقافيّ، بيروت، دار الغرب الإسلاميّ، ط1/1998م، ج2/ص:312 .

6- سيدي لخضر بن خلوف حياته وقصائده، منشورات جمعيّة آفاق، مستغانم، دار الغرب للنّشر والتّوزيع، 2006م، ج1/ص:17 .

7- الحقل الدّلاليّ هو اشتراك مجموعة من الألفاظ في مفهوم عام مبنيّة على علاقات لسانيّة مشتركة، كحقل الإنسان، حقل الحيوان، حقل الألوان، وحقل النّبات وغير ذلك.

8- ديوان سيدي الأخضر بن خلوف، جمعه وقدّمه محمد بن الحاج الغوثيّ بخوشة، نشر ابن خلدون، تلمسان، ص:39 .

9- تقع القصيدة في تسعة وتسعين بيتا نقل فيها الشّاعر وقائع المعركة فصوّر خسائر العدوّ، ونصر المسلمين.

10- تمّت هذه المعركة في 22 أوت 1558م، وانتهت في يوم الجمعة 12 ذي القعدة 965هـ المواقف لـ26 أوت 1558م، نقل فيها الشّاعر أحداث هذه المعركة الّتي ابتدأت باحتلال الإسبان لمزغران وانتهت باستعادتها من لدن المسلمين الجزائريين بعد معركة ضاريّة بين الجيشين. ينظر: سيدي لخضر بن خلوف حياته وقصائده، ص:33-37 .

11- سيدي لخضر بن خلوف حياته وقصائده، ص:38 .

12- يرجع نسب سيدي لحضر بن خلوف إلى مولى إدريس الأكبر "رضي الله عنه" فهو مغراويّ الأصل شريف النّسب، يلتحق بجدّه عيسى الّذي انتقل إلى الشّقران من ناحية مستغانم؛ فهو: عيسى بن الحسن بن يعقوب الشّريف بن عبد الله بن عمران بن صفوان بن يسار بن موسى بن سليمان بن يحيى بن موسى بن عيسى بن دريس الولد بن ادريس الأكبر بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن البسيط بن عليّ كرّم الله وجهه. ينظر: ديوان سيدي لخضر بن خلوف، ص:24-25 .

13- معجم شمال إفريقيا تطوان وما حولها، د.عبد المنعم سيد عبد العال، ص:202، عن: المعجم اللّهجيّ ودلالته في ديوان أحمد بن التّريكيّ، بلي عبد القادر، رسالة ماجستير، وهران: 2005م، ص:42 .

14- ديوان سيدي الأخضر بن خلوف، جمعه وقدّمه محمد بن الحاج الغوثيّ بخوشة، ص:23 .

15- الدّلالة الإيحائيّة في الصّيغة الإفراديّة، د.صفيّة مطهريّ، دمشق، اتّحاد الكتّاب العرب، 2004م، ص:131 .

16- لغة الحيوان، بيروت، المكتبة العصريّة، ط2003/1م، ص: 152 .

17- المعجم الوسيط، مادّة "فرس"، والفرسان في الجيش: المحاربون على ظهور الخيل.

18- سورة الكهف، الآية (107).

19- سورة الكهف، الآية (31).

20- وفي المناطق الصّحراويّة منها أدرار يسمّى "البُعْبُعْ" أو"الفَكْرُونْ.

21- المعجم الوسيط، مادّة "خيل".

22- المعجم الوسيط، مادّة "زقم".

23- سورة الواقعة، الآية (52).

24- لسان العرب، ابن منظور، والسّابق، مادّة "حنظ".

25- سيدي لخضر بن خلوف، حياته وقصائده، ص:32 .

26- المعجم الوسيط، مادّة (سفن).

المصادر والمراجع المعتمدة:

- القرآن الكريم برواية الإمام ورش عن الإمام نافع.
- تاريخ الجزائر الثّقافيّ، بيروت، دار الغرب الإسلاميّ، ط1/1998م.
- الدّلالة الإيحائيّة في الصّيغة الإفراديّة، د. صفيّة مطهريّ، دمشق، اتّحاد الكتّاب العرب، 2004م.
- ديوان سيدي الأخضر بن خلوف، جمعه وقدّمه محمد بن الحاج الغوثيّ بخوشة، نشر ابن خلدون تلمسان.
- سيدي لخضر بن خلوف حياته وقصائده، منشورات جمعيّة آفاق مستغانم، دار الغرب للنّشر والتّوزيع، 2006م.
- الشّعر الشّعبيّ العربيّ، بيروت، منشورات اقرأ، 1980م.
- العربيّة وعلم اللّغة الحديث، القاهرة، دار غريب للطّباعة والنّشر والتّوزيع، 2001م.

- في اللّهجات العربيّة، القاهرة، عالم الكتاب الحديث، ط/1، 1989م.
- لغة الحيوان، بيروت، المكتبة العصريّة ط2003/1م.
- المعجم اللّهجيّ ودلالته في ديوان أحمد بن التّريكي، بلي عبد القادر، رسالة ماجستير، وهران، 2005م.
- المعجم الوسيط، المجمع اللّغويّ بالقاهرة، بيروت، مكتبة صيدا، ط23/ 2004م.
- مقاربات أوليّة في علم اللّهجات، الجزائر، دار الغرب للنّشر والتّوزيع، 2002م.